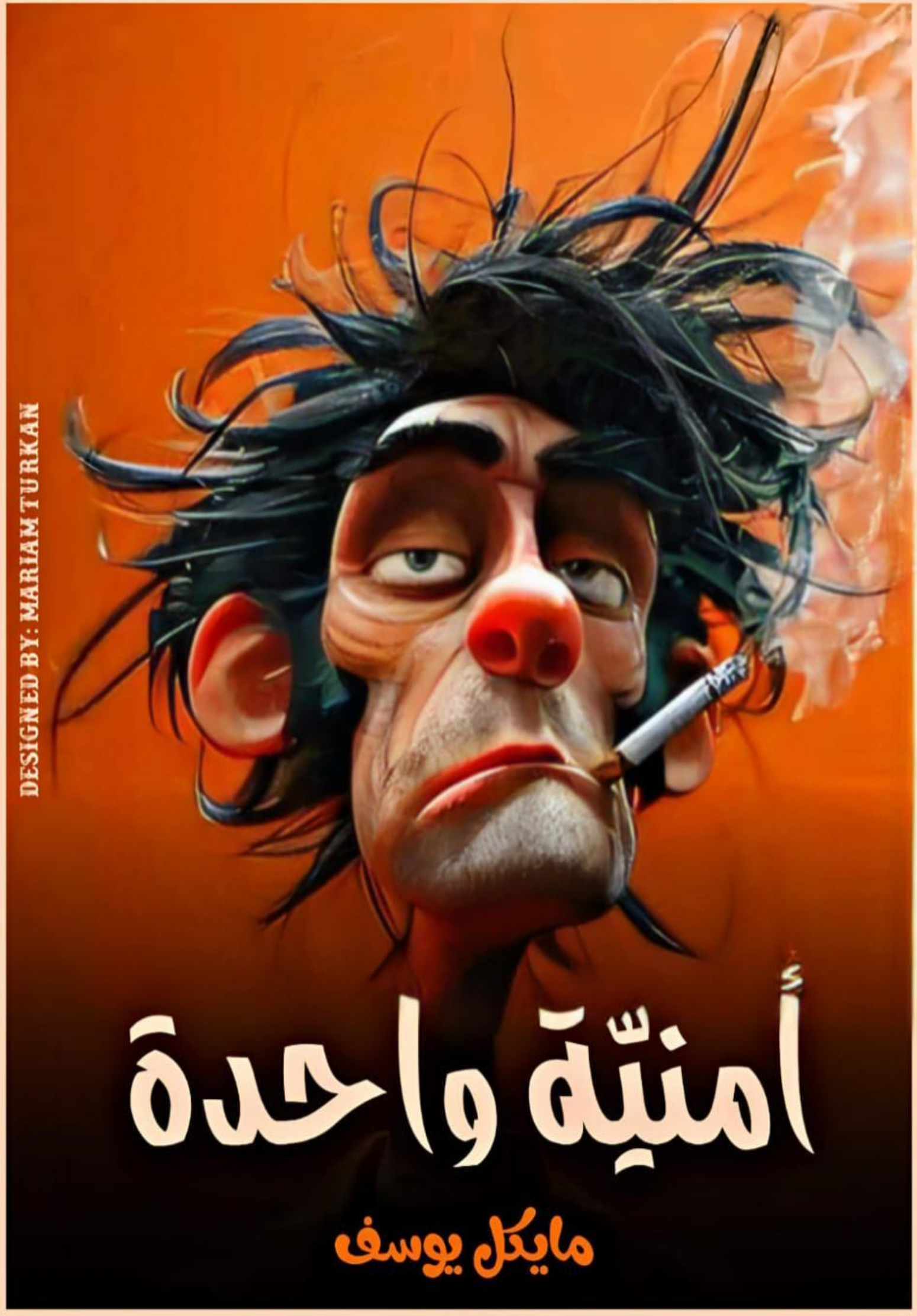
DESIGNED BY: MARIAM TURKAN
أُمنيّة واحدة
مايكل يوسف

أُمنيّة واحدة

مايكل يوسف

اسم العمل: أُمنيّة واحدة

نوع العمل: أدب ساخر

اسم الكاتب: مايكل يوسف

تدقيق لغوي: مريم توركان

تصميم الغلاف: مريم توركان

تنسيق داخلي: مريم توركان

https://www.facebook.com/MaikelYouseef80?mibextid=ZbWKwL

الفصل الأوّل

اليوم هو الحادي والثلاثين من ديسمبر.

اليوم هو رأس السنة _كما يُسمّيهِ النّاس.

اليوم هو يوم الاحتفالات، يوم توديع عام مضى بكُلّ ما فيهِ، واستقبال عام جديد بالأُمنيّات، لكنَّ هذا اليوم مُختلف بالنسبةِ لي.

أنا (زين).. (زين فريد)، رجل أعمال شهير، وابن رجل الأعمال الأشهر (فريد الطوبي).

لِمَ هذا اليوم مختلف بالنسبةِ لي؟

لأنَّني قررت أنْ أحتفل بأسلوبٍ مُختلف عن أعوامي السابقة.

عِشتُ طِيلة أعوامي السابقة _42 عامًا، شابًّا مُرفهًا، لا أحمل همًّا لأيّ شيء، فكُلّ طلباتي مُجابة، حتّى من قبل أنْ أطلبها.

كانَ يوم رأس السنة بالنسبةِ لي، هو يوم تحقيق المُستحيلات بالنسبةِ لبعض النّاس،

فأُمنيّاتي في ذلكَ اليوم كانتْ تتمحور في الاحتفال بسويسرا مع أصدقائي، أو هذا العام في كندا، الخ.

لكنْ هذا العام قررت أنْ أحتفل بأسلوب وشكل مختلف؛ قررت أنْ أُسعد وأُساعد كُلّ شخصٍ أُقابلهُ اليوم.

أجل، كما قرأت بالضبط.. أُسعد وأُساعد كُلّ شخص.

قررت هذا العام أنْ أُغادرَ منزلي بمدينة الرحاب إلى أيّ منطقة باختيارٍ عشوائي، وذلكَ ف تمام الساعة الحادية عشر مساءً، وحتّى الساعة الواحدة من صباح اليوم الجديد، والعام الجديد لمدة ساعتين كاملتين، أيّ شخصٍ أُقابلهُ سوفَ أُحقق لهُ ما يتمنّى فعليًا، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ فقط، مهما كانَ سوفَ أُحققهُ له، حتّى لو تسبب هذا الطلب في فقدي لنصف ثروتي!

وإنْ كُنتُ أشكّ في حدوث ذلك، ليسَ لصعوبة الطلب، ولكنْ لضخامة حجم ثروتي.

ولماذا أفعل هذا؟؟

لا أعلم بالتحديد، ولكنْ لنقول من باب التغيير.. أو من باب المرح.

ولكنْ يوجد سبب آخر بالفعل، وهو أمرٌ قد حدثَ معي من قُبيل المُصادفة، لذة سعادة غامرة لم أشعر بها من قبل في حياتي، بعد مساعدتي إنسان في موقفٍ صعبٍ بالنسبةِ له، شعور غامر بالسعادة تملّكني في تلكَ اللحظة، ما مصدره؟

لا أعلم.

ما أسبابه؟

أيضًا لا أعلم.

وقد كان، خرجت من منزلي في تمام الساعة التاسعة، تحسُبًا للمسافة المقطوعة للمنطقة المنشودة.

الطقس شديد البرودة، والسّماء مُلبّدة بالغيوم، كَمثل حال نفس الوقت من كُلّ عام،

ولكنْ أعتقد أنَّ حالة الطقس هذا العام قد تكون أسوأ قليلًا بالنسبةِ للأعوام السابقة.

ركبتُ السيّارة ثُمَّ أغلقتها، وقُمت بالبحث العشوائي على شاشة مُحدّد الاتجاه الخاصّ بالسيّارة الفارهة خاصّتي.

وبالفعلِ أشارَ إلى مكانٍ على الخريطة، يقع شرق القاهرة القديمة.

أشارَ إلى منطقة قديمة نسبيًّا وعشوائيّة، وتُعدّ من المناطق الشعبيّة القديمة (الزاوية الحمراء).

اسم غريب، أعتقد أنَّهُ قد مرَّ عليَّ من قبل، ولكنْ لا يهم.

قُمتُ بقيادة السيّارة، وتركت مهمة تحديد الاتجاه لمُحدّد الاتجاه الخاصّ بها، وعند حوالي الساعة العاشرة والنصف مساءً، أخبرني الصوت المعدني لمُحدّد الوجهات بالسيّارة عن وصولي إلى مُبتغاي.

ركنتُ السيّارة في أقرب شارع رئيسي بعدَ أنْ أغلقتها جيّدًا، وترجلت منها وأخذت أسير

على غير هُدى، حتّى شاهدت إحدى المقاهي الشعبيّة .. والتي كانتْ خالية من الرواد في ذلكَ الوقت، وكذا لسوء الأحوال الجويّة؛ حيثُ بدأت السّماء تكشر عن أنيابها، وبدأت تتساقط الأمطار بغزارة.

اقتربت وجلست على أوّل مقعد قابلني بالمقهى، ونظرت في ساعة يدي أمامي لحوالي ربع ساعة بالتحديد، أدرس المنطقة جيّدًا قبلَ أنْ أشرع فيما أتيتُ من أجله.

أفقتُ من شرودي على صوتٍ أجشّ.

-أُؤمر يا أستاذ، تحبّ تشرب إيه؟

نظرتُ لصاحب الصوت، شابّ في مُقتبل العُمر يهتزّ في وقفتهِ وكأنَّهُ يترنح، يضع سيجارة غريبة بيضاء بالكامل خلف أُذنه، لم أُشاهد مثلها من قبل، بها انتفاخ غريب الشكل بآخرها.

تجاهلتُ هئيتهُ وأخبرتهُ:

-كافيه لاتيه.

لـم يُعيرنـي أيّ اهتمـام، وكأنَّـهُ لـم يسـمع مـا أقول، وكرّرَ السؤال مرّة أُخرى؟

-أيوا يا باشا، حتشرب إيه؟

أدركت حينها أنَّهُ لم يعي ما أقول، يا لغبائي!

هُنـا فـي مِثـلِ هـذهِ المنطقـة، وأطلـب كافيـه لاتيـه، يا لي من غبي!

-آسف، قهوة، أُريدُ أنْ أشرب قهوة.

- بتحبّها إيه؟

- ماذا؟

مَن هي التي أُحبّها؟؟؟

- القهوة يا بيه، بتحبّ تشربها إيه؟؟

- اااااه، قـد فهمـت الآن، يقصـد درجـة السـكر بها.

حسنًا، حسنًا، أُريدها سكر قليل نسبيًّا.

- على الريحة يعني؟

- ماذا؟

رائحة، أيّة رائحة؟

نظرَ إليَّ نظرة بلهاء، وغمغم بكلامٍ لم أفهمه، وتركني وعلى عقيرته:

-وعندك واحد على الريحة بناني!

لم أفهم لما يُعلي عقيرته، وما المقصود بالرائحة والبناني؟!

تركني لبضع دقائق وعادَ مرّة أُخرى، وهو يحمل فنجان قهوة جار الزمان عليه، حتّى فقد نصف أُذنه واستواء سطحه.

نظرتُ إلى الفنجان ونظرت مرّة أُخرى إلى القهوجي:

-هل سأشرب في هذا الفنجان؟

مالَ إليَّ حتّى اقتربَ بأنفاسهِ منّي:

-أيوا حتشربه!

تراجعت من رائحة أنفاسهِ الكريهة:

-حسنًا، حسنًا.

تركَ الفنجان على الطاولة أمامي وذهب للداخل.

أمسكتُ الفنجان من ما تبّقى من أُذنه، وقربتهُ من أنفي، رائحة غريبة وكريهة نسبيًّا، ولكنْ لا يهم، قد قررت أنْ أخوض التجربة حتّى نهايتها!

أخذت الفنجان وقربتهُ من فمي، وتذوقتُ السائل الغامق اللزج.

-اللعنة!

قُلتها وأنا أبصق ما بفمي من السائل البشع مذاقه.

-ماهذا؟

لا بُدَّ أنَّهُ من المجارير، أهذهِ قهوة؟

مُستحيل!

هذا السائل بشع المذاق، لا يمُت لأيّ نوعٍ من القهوة تذوقتهُ في حياتي من قريبٍ أو بعيد، بل لا يمُت بصِلةٍ للبُن الذي يُصنع في أفريقيا من براز بعض الحيوانات؛ إذ للأخير مذاق رائع مُقارنةً مع هذا السائل البشع.

تركت الفنجان ونظرت لساعة يدي، لقد أزف الوقت، حانت لحظة العمل.

ناديت على الشابّ، وأخرجت لهُ ورقة فئة المئتين جنيه، وناولتها إيَّاه.

نظر إليَّ نظرة بلهاء من نظراته:

-أنت بتهزر يا أستاذ؟!

أجبلك فكة منين في الجوّ دا؟

شوف معاك خمساية فكة.

- إيه خمساية؟ يعني إيه؟!

- خمسة جنيه يا باشا، خمسة بلبل، شلن كبير، إيه مش محتاجة فكاكة يعني.

نظرتُ إليهِ في اندهاش:

-ما هذا الذي تقول؟

خمس جنيهات!!!

ما هذهِ العُملة؟

أخذَ يُتمتم بعباراتٍ لم أفهمها، ولإنهاء النقاش، وعدم إضاعة الوقت:

- حسنًا، خُذها كُلّها لك، لا أُريدُ الباقي.

نظرَ إليَّ نظرة بلهاء وسقط فكه لفترة من الزمن!

لم أنتظر كثيرًا، تركتهُ مازال فاغرًا فاه وانصرفت.

ذهبتُ إلى الشارع المُقابل، حيثُ بدء مهمتي.

أخذتُ أسير على مَهَلٍ كي لا أتعثر بسبب الشوارع المُبتلّة من الأمطار، حتّى وجدتُ سيّدة عجوز تقف على باب منزلٍ مُتهالك.

قد وجدتُ ضالتي أخيرًا، هي هدفي الأوّل.

اقتربتُ منها:

-مساءُ الخير يا أُمّي.

نظرت إليَّ نظرة لم أفهم كنهها:

-أُمّك، يا روح أُمّك!

لم أفهم واستوعب ما قالت:

-هل أُساعدكِ في أيّ شيء؟

نظـــرت إلـــيَّ نظـــرة خاويـــة، وبصـــقت علـــى الأرض:

-اخلع من هنا مش نقصاك أنت كمان!

قالـــت عبارتهـــا وهمّـــت بالانصـــراف لـــداخل المنزل.

ناديتُها لتقف:

-يـا سـيّدتي، أنـا هُنـا لمسـاعدتكِ، ولا أُريـدُ أيّ مُقابل أو أيّ شيءٍ منكِ.

نظرت إليَّ نظرة مليئة بالغرابة، ثُمَّ قالت:

- ايـش ياخـد الـريح مـن الـبلاط، حتاخـد منّـي إيـه يا حسرة!

- تمنّي أيّ شيءٍ وأنا أُساعدكِ على تحقيقهِ.

نظرت إليَّ بتمعُنٍ وقالت:

-أيّ شيء؟

أومأتُ لها أنْ نعم.

-ينوبك ثواب، عايزة متر جاز من عمّ أحمد البقال علشان أشغل الباجور، علشان أستحمى؛ مستحميتش من جمعتين!

وقفتُ مُندهشًا لا أفهم طلبها، ولكنْ بُناءً على توجيهها وصلت إلى المكان المنشود، وبالفعلِ ابتعتُ ما أرادت، وعدتُ إليها وأنا في قمة سعادتي.

وما أنْ رأتني حتّى قالت لي:

- شُكرًا يا أخّ، تعبتك معايا، طريقك أخضر.

- ماذا؟

ماذا تعنين بطريقك أخضر؟

- يعني خلاص كتّر خيرك، وشُكرًا على الجاز.

- اتركيني أُساعدكِ وأقوم بملء هذا الشيء، الذي تقولينهُ بهذا السائل الغريب الذي ابتعتهُ لكِ.

نظرت إليَّ مُطولًا في عدم تصديق:

-وحتعرف؟؟

ابتسمتُ لها وأخبرتها:

-ثقي بي.

دخلت شقتها وأنا خلفها، قادتني إلى مكان، تقريبًا هو المطبخ الخاصّ بها، وأشارت إلى جهازٍ معدني بلونٍ أسودٍ قاتم.

- الباجور أهو، املاه جاز وولّعُه.

لم استوعب ما طلبت بالضبط، لكنَّني قد فهمت أنَّ ما معي من سائل، يوضع بداخل هذا الشيء ويتمّ اِشعال النّار بهِ.

حسنًا، الموضوع بسيط على ما أعتقد.

أخذتُ أبحث عن أيّة فُتحة للسائل حتّى وجدت فُتحة مُغلقة جيّدًا، توقعت أنَّها الخاصّة بوضع السائل بها.

وبالفعلِ قُمتُ بوضع السائل، والآن فهمت كنه هذا الجهاز والسائل، تذكّرتُ الرائحة، إنَّهُ يُشبه البنزين الذي نضعهُ في السيّارة، إذًا هذا جهاز لتدفئة المياه بغرض الاستحمام، ويعمل بهذا السائل.

اااااه قد فهمت!

قُمتُ بملء الجهاز وسكبت المُتبّقي من السائل عليهِ من الخارج، ونسيتُ شيئًا صغيرًا، وهو إغلاق الفُتحة التي وضعتُ فيها السائل!

أخرجتُ قدّاحتي الذهبيّة من جيبي، وأشعلتها وقربتها من الجهاز، واشتعلت بهِ النيران.

وقفتُ مُبتسمًا، أشعر بسعادة بالغة، لقد حققتُ لإنسانٍ شيئًا تمنّاه.

وقفتُ أُراقب النيران وهي تزداد وتنتشر، توترتُ قليلًا، لماذا تنتشر النيران خارج الجهاز؟؟؟

أفقتُ على صوت صرخاتٍ من خلفي.

-ولّعت في البيت يا ابن الكلب!

وأخذتْ بالصراخ ، وأنا لا أفهم ماذا حدث؟

حاولت أنْ تُطفئ النيران التي بدأت بالانتشار في كُلّ المكان، ما تفعلهُ جعلَ الجهاز المُشتعل يسقط أرضًا ويتطاير السائل في كُلّ مكان، حتّى لمسها هي شخصيًّا واشتعلت بها

النيران، وأخذتْ تتخبط في كُلّ مكان، وتعالت صرخاتها، وأنا لا أدري ماذا أفعل؟

لم أجد مفرًّا سوى الركض، خرجت مُسرعًا من الشقة ومن العمارة كُلّها، وظللت أجري في الشارع على غير هُدى، ومن خلفي تتعالى الصرخات في كُلِّ مكان، وتتعالى ألسنة اللهب!

بعد مسافة طويلة من الركض، وقفتُ ألتقط أنفاسي التي كانت تقطعت.

ارتكزت على حائط مُقابل، وأخذت أُحاول استجماع قُواي، يبدو أنَّ الجهاز بهِ عطل، لا يُمكن أنْ أكونَ أنا السبب.

تلكَ الأجهزة مجهولة المصدر والمصنوعة يدويًا، غالبًا لا تخلو من العيوب.

عندَ هذهِ النقطة، بداءت أستجمع شتات ذهني، نعم، نعم، إنَّهُ قدرها، وبالطبعِ رداءة تصنيع ذلكَ الجهاز.

-ممكن زقة يا أستاذ لو سمحت؟

أخرجتني هذهِ العبارة من شرودي، فنظرت تجاه مُحدّثي، وجدتهُ رجلًا في منتصف العمر يكسو الشيب رأسه.

- تحت أمرك، بماذا تُريد أنْ أُساعدك؟؟

- ممكن تزق معايا العربيّة بس لحد منزل كوبري شبرا، وأنا حرملها علشان مش عايزة تدور، فحدورها زق.

لم أفهم بالضبط ما يُريد منّي، لكنَّني فهمت أنَّهُ يُريد أنْ أدفع معهُ السيّارة حتّى منزل الكوبري، ولماذا هذا؟

-ألا تحمل رقم مركز خدمة سريع، يأتي ليُصلح لكَ السيّارة هُنا؟

نظرَ إليَّ نظرة من لم يَفهم ما أقول.

-لا، أصل النهارده الحد، والأسطى بلية قافل، قولت أروّح بيها زق لحدّ بكره بإذن الله.

ليكُن، وبالفعلِ ركب السيّارة وقُمتُ بدفعهِ حتّى تقطعت أنفاسي، فقمنا بتبادل الأدوار في

مُنتصف الطريق، ركبت أنا السيّارة، وهو قامَ بدفعها حتّى وصلنا إلى أعلى نقطة بالكوبري،

وهُنا قال لي:

-انزل أنت بقى، وأنا حركب وأنت زوقني على النزلاية، وأنا حرملها.

لم أستوعب ما قال، لكنَّني فعلت ما طلبه، وركب السيّارة وبدأت بدفعها باتجاه منزل الكوبري.

وفجأة تعالى صراخه من داخل السيّارة:

-وقف، وقف، المفتاح مش في التابلوه، العجل كاسر ومش عارف أعدله.

لم أستوعب ما يقول، ونظرت في يدي وجدت مفتاح السيّارة، يبدو أنَّني قد أخذتهُ من السيّارة بحركةٍ لا إرادية كما أفعل في سيّارتي كُلّما أهبط منها.

نظرتُ إليهِ وجدت السيّارة تتجه إلى سور الكوبري، لا أفهم لماذا يتجه إلى سور الكوبري بالسيّارة؟؟

ماذا يُريد أنْ يفعل؟؟

وتخطت السيّارة حاجز الكوبري وسقطت من أعلى الكوبري، وهوت أرضًا وتحطمت، واشتعلت بها النيران!!!

وأنا أقف لا أستوعب ما حدث.

هل كانَ يستغلّني ؟

هل كانَ يفعل كُلّ هذا بدافع الانتحار؟

هل ساعدت للتوّ إنسان في إنهاء حياته؟

وقفت مذهولًا، لا أدري ماذا حدث؟

نظرت للسّماء:

-رحماك يا إلهي!

يتبع ....

الفصل الثاني

سارَ (زين) مُبتعدًا عن مكان الحادث، لا يُصدق ما حدث.

هل من المُمكن أنْ يُنهي شخص حياته بمثل هذهِ الطريقة؟؟؟

سارَ تائهًا على غير هُدى، ومن خلفهِ تعالت ألسنة اللهب المُشتعلة ببقايا حُطام السيّارة، وهي تلتهما بجسد صاحبها.

كانَ ما يشغل تفكيره هو لماذا؟؟؟

لماذا استغلّهُ قائد السيّارة مثل هذا الاستغلال؟؟؟!

لماذا جعلهُ يُساعدهُ في إنهاء حياته؟

لو كانَ يعلم بما ينتويهِ لرفضَ رفضًا قاطعًا، ولكنَّهُ لم يعلم نيّة قائد السيّارة، وهذا ما خففَ عنهُ قليلًا.

-أيّ حاجـــة يـــا بيـــه، ســـاعدني يســـاعدك ربّنا.

أفاقَ من شرودهِ على هذهِ العبارة.

نظـــرَ تجـــاه قائلهـــا، وجـــدهُ رجـــلًا فـــي مُنتصـــف العمـــر، نحـــيلًا، يرتـــدي جلبابًـــا أبـــيض، ويُغطـــي رأســـه بشـــال بـــنفس اللـــون، يجلس على كُرسيٍّ خاصّ بالمُعاقين.

نظرَ إليهِ (زين) طويلًا.

اقتربَ منه:

- هل تُحدّثني أنا؟

- أيـــوا يـــا بيـــه، ســـاعدني بـــأيّ حاجـــة، عـــايز أروّح لعيالي بأيّ لقمة.

رقَّ لحالـــهِ قلـــب (زيـــن)، فـــاقتربَ منـــهُ أكثـــر ومالَ إليهِ مُحدّثًا:

-اطلـــب مـــا تشـــاء، وأنـــا ســـأفعل لـــكَ بـــإذنِ اللَّه.

تمنّى ما تُريد وأنا أُحققهُ لك.

ابتسمَ الرجل ابتسامة شاحبة، وقال:

-اللـــي أنـــا عـــايزه محـــدش يعـــرف يعملهـــولي يا بيه.

أصرَ (زين) على كلامه:

- فقط أخبرني بما تُريد.

- نفســـي أرجـــع أمشـــي علـــى رجلـــي مـــن تـــاني، بـــس نقـــول إيـــه، الحمـــدُ لِلَّهِ، بعـــد الشـــلل أخـــري أقـــف بـــس علـــى رجليـــا، لكـــنْ مقدرش أحرّكهم.

تهللت أسارير (زين):

-هل تستطيع الوقوف باعتدال؟

نظر إليهِ الرجل وقال:

-أيوا، لكن مقدرش أمشي.

قفـــزَ (زيـــن) مـــن الفـــرح؛ أخيـــرًا يســـتطيع المُساعدة الحقيقيّة.

نظرَ للرجل وقال:

-انتظر هُنا ولا تُغادر إلى أيّ مكان.

فقـــط انتظرنـــــي، وســـوفَ أعــود إليـــكَ بمـــا تتمنّى.

وقـــف الرجـــل ينظـــر لـــزين، نظـــر غيـــر مصدق وغير مستوعب لما يقول.

انصـــرفَ (زيـــن) مُســـرعًا فـــى اتجـــاه السـيّارة الخاصـّــة بــِهِ، وكـــانَ يـــركض أثنـــاء ذهابـــه؛ خشـــية أنْ لا يُصـــدقهُ الرجـــل ويذهب لأيّ مكان.

وبالفعـــلِ وصـــلَ إلـــى ســـيارته، وفـــتحَ الصـــندوق الخلفـــي الخـــاصّ بهـــا، وأخـــذَ يبحث عن مُبتغاه،

وصرخَ من الفرحة:

- وجدته!

وأخـــرجَ مـــن الصـــندوق الخلفـــي للسـيّارة مـــا كانَ يبحث عنه.

كـــانَ (هـــوفر بـــورد) أو المنزلـــق الشـــبابي، الـــذي يعتليـــهُ كُـــلّ شـــباب الطبقـــات الغنيّـــة؛ للسير كهربائيًّا.

أخذهُ وعادَ مُسرعًا للرجل، وهو في غاية السعادة، لأنَّهُ أخيرًا يستطيع تحقيق حلم إنسان.

وصلَ للمكان، وبالفعلِ كما توقع وجدَ الرجل لم يُصدقهُ، وهمَّ بالذهاب، لكنَّهُ استطاع إدراكه، وأخذ يُنادي عليهِ ليتوقف، وأسرعَ خلفة راكضًا.

توقفَ الرجل عن السير بعجلاتِ الكُرسي المُتحرّك، حتّى وصلَ إليهِ (زين)، وانحنى يلهث من فرط المجهود الذي بذلهُ للذهاب للسيّارة والعودة مُسرعًا.

- باللَّهِ عليك يا بيه، مش ناقص تريقة عليا، هتخلّيني أمشي إزاي يعني؟

سيبنى يا بيه أروّح لعيالي.

قالها وهمَّ بدفع عجلات كُرسيّهِ والانصراف، لكنَّ (زين) قد تعلّقَ بالكرسي وصرخ:

-انتظر، انتظر.

ووضعَ الهوفر بورد على الأرض، وقال لهُ:

-ألم تُخبرني أنَّكَ تستطيع الوقوف باعتدال؟ هذا هو الحلّ.

كُلّ ما عليكَ فِعلهُ هو أنْ تقفَ عليهِ مُنتصبًا فقط، وإنْ أردتَ أنْ تسيرَ للأمام، تميل قليلًا بجسدك للأمام وهو يسير تلقائيًّا، وإنْ أردتَ السير للخلف، تفعل العكس، فقط تميل للخلف بجسدك وهو يتحرّك للخلف.

إنَّهُ سهل جدًّا في استخدامه.

نظرَ إليهِ الرجل غير قادر على الاستيعاب لما يقول، وقالَ لهُ:

- يعني عايز تفهمني إني لما أقف على البتاع دا، أتحرّك لقدام ولورا من غير ما أنزل رجلي على الأرض؟؟

- بالضبط.

قالها (زين) وهو مبتسم.

تهللت أسارير الرجل، وكاد أنْ يسير من فرحته، وساعدهُ (زين) على النهوض والوقوف باعتدال على اللوح المُنزلق.

وقفَ عليهِ وكادَ أنْ يطير من الفرحة، تركَ (زين) يدهُ واستطاعَ هو الوقوف بانتصابٍ عليه.

أخذَ (زين) ينظر حولهُ يبحث عن مكانٍ رحبٍ واسع؛ ليُعلّمهُ فيهِ آلية التحكم باللوح، وكانَ قد تركهُ واقفًا خلفه، ولم يشعر أنَّ الرجلَ قد مالَ قليلًا للخلف، فبدأ اللوح بالسير للخلف، والرجل غير قادر على الكلام يُحاول التشبث بأيّ شيءٍ ولكنَّهُ لا يستطيع.

أخذتْ سرعة اللوح تزداد مع ميل الرجل أكثر، حتّى سقط فجأة في إحدى فُتحات المجارير المُهملة _التي هي دونَ غِطاء، واختفى تمامًا بداخلها دونَ حتّى أنْ يصدر منه أيّ صوت، كانَ قد غرقَ في ثوانٍ قليلة.

عــادَ فريــد ونظــر تجــاه المكــان الــذي تــركَ بهِ الرجل، ولكنَّهُ لم يجده!

ظلَّ يبحث عنهُ في كُلِّ مكان.

وقفَ مُندهشًا:

-أينَ ذهب؟

ولماذا؟

أنا لم أطلب منهُ مُقابل. .

لقد كنتُ سأُعطيهِ إيَّاهُ دونَ أيّ مُقابل.

لماذا هرب؟؟

اللعنة.. اللعنة.

لِمَ هذهِ التصرفات؟

أنا لم أكُن أنوي سوى فعل الخير فقط!

لمــاذا يفعــل معــي سُــكان هــذهِ المنطقــة مثــل هذهِ التصرفات؟؟!

ووقــفَ يصــرخ ويُخــرج إنفعالــه، ونظــرَ تجــاه كرســي الرجــل، وتركــهُ وذهــبَ

مُبتعـــدًا، نادبًـــا حظّـــهُ مُتأســـفًا علـــى ردّ الجميل له.

ســـارَ هائمًـــا علـــى وجهـــهِ شِـــبه فاقـــدللنطق، بعدما مرَّ بهِ طوال اليوم.

-بس ، بس.

أخـــذَ يتلفـــت حولـــهُ يمينًـــا ويســـارًابحثًا عـــن مصدر الصوت.

-بس ، بس، فوق، أنا فوق!

التفـــتَ عاليًـــا حتّـــى وجـــدَ امـــراة تقـــف بإحـــدى شُرفات المنازل، هي من تُناديهِ.

نظرَ إليها وأشارَ إلى صدرهِ:

-أنا؟

هزّت رأسها بالإيجاب:

-أيوا أنت يا أبو صدر واسع أنت.

نظرَ إليها (زين) باندهاش:

-أيّة خدمة أستطيع تنفيذها لكِ؟

ضحكت ضحكة ماجنة وهي تلوك علكة بفمها، وكأنَّها تقتلها بأسنانها:

-خدمة، هههه، أيوا عايزة منك خدمة، اطلعلي فوق، عايزاك تساعدني ننقل الدولاب.

نظرَ إليها (زين) باندهاش:

-دولاب؟

أتقصدينَ خزينة الملابس؟

ولماذا تنقلينها الآن في مثل هذا التوقيت؟

ألا تستطيعينَ الانتظار حتّى الصباح؟

وإحضار إحدى الشركات المُتخصصة في نقل الأثاث؟

نظرت إليهِ بنفاذ صبرٍ وقالت:

- حتطلع ولا أشوف غيرك؟

- كما تُريدين، أنا هُنا بغرض المُساعدة من الأساس.

قالها وصعدَ الدرج حتّى وصلَ إلى الشقة المقصودة.

وجدها أمامهُ تقف على مدخل الشقة، وتنظر إليهِ في غنجٍ، وترتدي عباءة فاقعٌ لونها تُظهر مفاتنها، أو ما بقيَ منها.

اقتربَ منها ،وهالهُ ما رأى؛ إذ كانتْ تضع كميّة غريبة وكبيرة من مساحيق التجميل، في مُحاولةٍ منها لإخفاء أثر الزمن وما فعلهُ بوجهها، ولكنَّها لم تنجح، بل حوّلتها إلى إحدى بهلوانات السيرك!

كادَ أنْ يضحك من ما رآه، ولكنَّهُ تمالكَ نفسهُ حتّى لا يجرح مشاعرها.

اقتربت منهُ ووضعت يدها على صدره:

-شكلها ليلة فُل، من زمان مجاليش حدّ نضيف شبهك.

قامتْ بسحبهِ من سُترتهِ إلى الداخل، وهو غير مُدرك لما يحدث، وأغلقت باب الشقة خلفهما.

اقتربت منهُ أكثر، حاولَ الابتعاد عنها قدر المُستطاع، وهو يسألها:

-أينَ خزينة الملابس التي سننقلها؟

نظرت إليهِ بإندهاشٍ وأطلقت ضحكة عالية ماجنة، كادَ أنْ يستيقظ عليها أموات المنطقة:

-الدولاب؟

هههههه، حاضر يا عنيا تعالى ورايا.

دلفت إلى إحدى الغُرف وأشارت إليهِ:

-تعالى.

دخل خلفها وأشارت إلى خزينة ملابس كبيرة، وقالت:

-الدولاب أهو، وريني شطارتك وصحتك.

قالتها وأطلقت ضحكة أُخرى تنافس الأُولى في الخلاعة والمجون.

نظرَ إلى خزينة الملابس، وإلى المكان الذي أشارتْ لهُ أنْ ينقلها فيه، وخلعَ سُترته كي يكونَ حُرّ الحركة أكثر، ليكشف عن صدرهِ العريض وذراعيهِ المفتولاتين؛ إذ كانَ من المُهتمين بالرياضة مُنذُ الصغر.

أخذَ يُحرّك الخزينة قليلًا قليلًا، حتّى شعر بها تلتصق بهِ من الخلف، فاستدار إليها فوجدها تُحيط بهِ بذراعيها، وتقول له:

- الظاهر كدا ليلتنا فُل الفُل، وأخذتْ تتحسّس ذراعيهِ وصدره، وعضلاته المفتولة.. أنا كنت باخد في الليلة خمسين جنيه، بس أنت أنا مش هاخد منك حاجة.

حاولَ التملُّص منها ولكنَّها كانتْ تمتلك ذراعينِ مثل كلابة الكابوريا أو السلطعون، قبضت عليهِ فلا يستطيع الإفلات منها.

حاولَ جاهدًا وهو يُحاربها ويجاهد للإفلات منها، حتّى اصطدم ظهره بالمفتاح الخاصّ بالاضاءة فانطفأ المِصباح، فضحكت بخلاعة.

لم يجد مفرَّ إلَّا أنْ يجذب خزانة الملابس؛ لتشتيت انتباها والهرب من خلفها.

وبالفعلِ جذب خزانة الملابس بشدّة، حتّى استطاع أنْ يجعلها تميل، وهرب من خلفها، لكنَّ خزينة الملابس سقطت على السيّدة فدفعتها للخلف حتّى اصطدمت بالشُرفة وسقطت منها من أعلى.

لم يرى (زين) كُلّ هذا لعدم وجود إضاءة بالمكان، ولكنَّهُ هرب إلى الطُرقة فتح باب الشقة

وهبط الدرج مُسرعًا، وظلَّ يجري حتّى وصلَ إلى سيّارتهِ وأدارها، وانطلق بها مُسرعًا مُبتعدًا عن هذهِ المنطقة، وهو

يلعــن نفســه، ويلعــن تلــكَ الفكــرة؛ فكــرة أنْ يُساعد النّاس، أنْ يُحقق لهم أحلامهم.

انطلقَ وهو لا يعلم لماذا فعلوا معه هذا؟

لماذا يُقابل البشر الإحسان بالاساءة؟

وظــلَّ هــذا الســؤال يتــردّد فــي عقلــه.. لماذا؟؟؟!

الفصل الثالث

مـرَّ عـام علـى ذلـكَ اليـوم المشـئووم، عـام كامـل لـم أتـدارك مـا حـدثَ يومهـا، لـم أكُـن أتخيّـل أنَّ بعـض البشـر يمكـنهم أنْ يسـتغلّوا بشـرًا آخـرين بتلـكَ الطريقـة المؤسـفة والبشـعة، لتنفيـذ مـآربهم الدنيئـة، عـام كامـل وأنـا أُحـاول الخـروج مـن حالـة الإكتئـاب، التـي حـدثت لـي يومهـا بعـدَ أنْ خـدعني مَـن قـرّرت فـي هـذا اليـوم أنْ أُحقـق لهـم أحلامهـم، أو جـزء بسـيط منهـا، لكـنَّهم قـد اسـتغلّوا طيبتـي وحُسـن خُلقـي للوصـول إلـى غـايتهم، ولكـنْ بعـد عـامٍ كامـل قـرّرت أنْ أُواصـل مـا بـدأت، فلـيسَ كُـلّ البشـر علـى نفـس الشـاكلة مـن الخِسّة والخداع.

اليـوم وفـي نفـس التـاريخ ونفـس اليـوم، قـرّرت أنْ أخـرج إلـى النَّـاس وأُسـاعد مَـن أُقابلهم في تحقيق أمانيهم.

سوفَ أكون مثل مِصباح (علاء الدين) لسعيد الحظّ، الذي يوقعهُ حظّهُ السعيد في طريقي.

ولمَن لا يعرفني منكم، أُعرّفكم بنفسي أنا (زين)، (زين فريد الطوبي) ابن رجل الأعمال الشهير (فريد الطوبي)، وقد قررت أنْ أخرج في آخر يومٍ من العام، المُوافق الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر، والذي يُطلق عليهِ العامّة (رأس السنة)، وأُحقق أُمنيّة واحدة فقط لأيّ إنسانٍ أُقابله، ولكنْ هذهِ المرّة لن أسمحَ لأحدٍ أنْ يخدعني أبدًا أو يستغلّني، لهذا ك قررت أنْ أُغيّر وجهتي.

لن أذهب إلى أيّ مكانٍ بعيدٍ مرّة أُخرى، وبالأخصّ المناطق الشعبيّة، لكنَّني سأذهب إلى أبعد مكانٍ يُمكن أنْ يتخيّلهُ إنسان، سأذهب إلى الصحراء.

نعم كما قرأتم تمامًا، الصحراء!

سوفَ أذهب إلى المُدن الجديدة، والتي هي تحت الإنشاء، ففي مثل تلكَ الأماكن وبهذا التوقيت، لن أجد إلَّا كُلّ مَن هو في احتياج حقيقي.

وقد وقعَ اختياري على العاصمة الإداريّة الجديدة، أعتقد أنَّ هذا هو أفضل مكان أعثر فيهِ على غايتي، فلن يكون هُناكَ في هذا التوقيت إلَّا مَن أجبرتهُ ظروف الحياة على التخلّي عن الرفاهية، أو على الأقل يوم إجازة، وهؤلاء مَن هُم أحقّ بتحقيق أمانيهم.

وبالفعلِ توجهت بسيّارتي رُباعيّة الدفع مُستخدمًا برنامج الخرائط الشهير، كي أستطيع الوصول إلى موقع التشييد والبناء للعاصمة الإداريّة الجديدة، وما هي إلَّا ساعة واحدة واستطعت الوصول للمكان المنشود.

ترجلتُ من السيّارة ووقفت أنظر حولي، المنطقة مازالت صحراء، كانَ هُناكَ

بعض المباني تحت التشييد بالفعل، ولكنْ لم يتمّ الإنتهاء من أيٍّ منها.

أثناء وقوفي رأيتُ رجلًا بجلبابٍ يمرّ من أمامي ويُلقي التحيّة، وهُنا أدركتُ أنَّني قد عثرتُ على غايتي، فأسرعت بالنداء عليه، فتوقف والتفتَ إليَّ مُتسائلًا:

-أيّ خدمة يا أستاذ؟

اقتربت منهُ وأنا مُبتسمًا وأجبته:

-هل تعمل هُنا؟

أجابني بإيماءةٍ من رأسه، تُفيد أنَّهُ بالفعلِ كذلك، فتابعتُ:

-ماذا تعمل بالضبط؟

نظرَ إليَّ في شكٍّ وريبة، وقال:

-أنت مين؟

وعايز إيه؟

وإيه اللي جابك هنا في الليل كدا؟

ضـــحكت وأجبتـــهُ مُحـــاولًا تخفيـــف حِـــدّة الشكّ لديه:

-اهـــدأ، اهـــدأ، أنـــا هُنـــا فقـــط لمُســـاعدتك، وتلبيـــة رغباتـــك التـــي تُريـــدها، أنـــا هُنـــا مـــن أجلكَ أنت.

وقـــفَ ينظـــر إلـــيَّ والشـــكّ يكســـو ملامحـــه، فتابعت حديثي:

-حسنًا، ماذا تُريد؟

بماذا تحلم؟

مـــا الـــذي تتمنّـــاهُ فـــي بدايـــة عـــام جديـــد وتُريد تحقيقه؟

وأنا أُساعدكَ في تحقيقه.

ارتفـــعَ حاجبـــهُ وأمســـكَ ذقنـــه بيـــدهِ وهـــو يقول:

- أيّ حاجة.. متأكد؟

- متأكد.

أجبتهُ بكُلّ ثقة وأنا أقف بزهوٍ وثقة.

-عايز أُمّي تقف تاني على رجليها بعد ما السكر بهدلها، واتسبب في قطع رجليها.

جاءَ دوري في الدهشة والذهول، وأسرعت مُقاطعًا إيَّاهُ:

-لا، لا، انتظر ما تطلبهُ مُستحيل عمليًّا ونظريًّا، ولكنْ يُمكنني أنْ أُحضر لها أطراف صناعيّة؛ تُساعدها على الحركة.

كانَ يقف فاتحًا فاهُ دلالة على عدم الاستيعاب وسألني:

-يعني حتقف وتمشي تاني؟

هززت رأسي بالإيجاب.

اتسعتْ ابتسامته، وأمسكني من يدي وجذبني وهو يسير باتجاه إحدى المباني الصغيرة، المُلاصقة لظهير جبلي يظهر عليهِ آثار النحت والتفجير حديثًا.

سرت خلفه، وأجلسني على طاولة بلاستيكيّة صغيرة، وأصر على أنْ يُعدّ

كوبًا من الشاي لي، كانتْ أمامهُ كُلّ المُعدّات اللازمة لصناعة الشاي، ووضعَ هذا الإبريق المعدني الذي فقدَ كُلّ ملامحه، وتحوّل إلى كُتلة سوداء من المعدن على موقد صغير مُخصص لهذا الغرض.

كانَ يقف يتلفت يبحث عن شيءٍ مفقود، وأخيرًا نظرَ إليَّ وقال:

-انتظر هُنا ولا تتحرّك، سوفَ أذهب في مهمةٍ بسيطة لاحضار بعض الشاى من ذلكَ المخزن هُناك، وأشارَ إلى مبنى صغير مكوّن من طابقٍ واحدٍ فقط مُلاصق للجبل، وما أنْ أنهى كلامة حتّى تحرّكَ سريعًا.

نظرت حولي كانَ الظلام يُحيط بالمكان، وكانَ هُناكَ مِصباح كهربائي حديث نسبيًّا ولكنَّهُ مُنطفىء، ولمحتُ جهاز تحكم أسود اللون موضوع على الطاولة بجواري، بالطبعِ لم أتبيّن كنهه في هذا

الظـــلام الحالـــك، ولكـــنْ بخبرتـــي فهمـــت أنَّ هـــذا جهـــاز الـــتحكم خـــاصّ بالمِصـــباح الكهربـــائي، تناولتـــهُ ولمحـــت هـــذا الـــزر الأحمر هو زر التشغيل.

قُمـــت بالضـــغط ضـــغطة صـــغيرة، لـــم يحـــدث شـــيء، فقمـــت بالضـــغط مـــرّة أُخـــرى ولكنَّهـــا ضغطة مطولة قليلًا.

وفجـــأة دوى انفجـــار كبيـــر، نســـف ذلـــكَ المخـــزن تمامًـــا الـــذي كـــانَ قـــد ذهـــبَ إليـــهِ الرجـــل المُجلبـــب، قفـــزت مـــن مقعـــدي مـــن شدّة الانفجار.

-رباااااه!

صـــرختُ بهـــذهِ الجُملـــة وأنـــا أُحـــاول اســـتيعاب مـــا حـــدث، لقـــد خـــدعني ذلـــكَ اللعـــين، إنَّـــهُ أحـــد المُتطـــرفين بالتأكيـــد، وأتـــى خصيصًـــا لتـــدمير هـــذا الموقـــع، وحـــاول أنْ يســـتغلّ وجـــودي للتمويـــه، ولكـــنْ حـــدثَ شـــيئًا جعلـــهُ يُســـرع بتنفيـــذ مـــا يُفكر به.

كُنتُ للمرّة الثانية في حياتي أتعرّض للصدمة في البشر من حولي، لماذا؟

لماذا أتعرّض دائمًا للخداع والاستغلال من البشر؟

تحرّكتُ وأنا أكاد أنفجر من شدّة الغضب، وقُمت بالدخول إلى سيّارتي وانطلقت مسرعة، مُحاولًا أنْ أُخفف غضبي من خلال سرعة الإنطلاق، سرتُ لمسافة كبيرة نسبيًّا حتّى وصلتُ إلى منطقة أُخرى على أطراف العاصمة الإداريّة، كانَ البرنامج الخاصّ بالخرائط يوضح كُلّ هذهِ المعلومات على شاشة حاسوب السيّارة، أطفأت مُحرّك السيّارة، وأغلقت عيناي وأرحت رأسي للخلف على المخدع الخاصّ بكرسي القيادة، مُحاولًا أنْ أهدأ قليلًا.

أفقتُ على صوتِ نقراتٍ على زجاج السيّارة المجاور لي، نظرت كانَ رجلًا متوسط البنية والعُمر أسمر البشرة،

ومن الواضح من ملابسهِ أنَّهُ أحد المُشاركين في أعمال البناء بهذهِ المنطقة، قمت بإنزال الزجاج كي أتمكن من سماعه.

-مُمكن خدمة يا أستاذ؟

قالها مُوجهًا حديثهُ إليَّ، فنظرت إليهِ بتوجس مُتفحصًا هيئته، كانَ يبدو عليهِ الطيبة وحُسن الخُلق.

-كيفَ أُساعدك؟

قُلتها لهُ مُتسائلًا:

-عربيتي النصف نقل غرزت في الطين عند طرف الجبل هناك، وعربيتك ما شاء الله دفع رُباعي، ويُمكنها جذب عربيتي علشان أخرج من الطين اللي غارز فيه.

هُنا ابتسمت، هذهِ مُساعدة بسيطة جدًّا، فسيّارتي قويّة بما يكفي، فأشرت لهُ بالصعود بجواري للذهاب إلى سيّارته، وانطلقنا إلى موقع السيّارة.

وما هي إلَّا دقائق معدودة حتّى وصلنا إلى السيّارة، كانتْ تقف على الحافّة تمامًا وإطاراتها تكاد لا تراها بسبب الوحل المُحيط بها، هبطَ من جواري وتحرّكَ إلى خلف سيّارتي وتحرّكت أنا بالسيّارة، حتّى قُمت بجعل مؤخرة سيّارتي مُواجهًا لمُقدمة سيّارته، وهبطت وفتحت الصندوق الخلفي وأخرجت حبل خاصّ بهذا المواقف، قامَ بأخذهِ من يدي، وقامَ بربط مؤخرة سيّارتي إلى مُقدمة سيّارته، وما أنْ انتهى حتّى أشارَ إليَّ أنْ تمّ بهدوء، وهو سيذهب إلى موخرة سيّارتهِ عند حافّة الحبل، ليُحاول أنْ يرفع مؤخرتها للمُساعدة في تحرُّكها لتخرج من الوحل.

لم أفهم ماذا ينوي لكنَّني أطعتهُ وقُمت بركوب سيّارتي، وخطرت لي فكرة وهي العودة للخلف قليلًا، والإنطلاق للأمام بسرعة، لإعطاء جذبة قويّة لخروج السيّارة.

وبالفعلِ شرعت في تنفيذ ما أنتوي، وتحرّكت للخلف حتّى شعرت بصدمة مؤخرة سيّارتي بمقدمة سيّارته، فلم أكُن قد قدّرت المسافة جيّدًا، ممّا جعلَ السيّارة تتحرّك للخلف بقوة وهو يقف خلفها، ولكنْ لم أتبيّن ما حدث، فقد دفعتهُ السيّارة وسقط من أعلى الجبل، كُلّ هذا وأنا لا أشعر.

وانطلقت للأمام، وبالفعلِ استطعت أنْ أُخرج السيّارة من الوحل وتقدّمت مسافة مناسبة، وتوقفت وهبطت للبحث عنه، ولكنَّني لم أجده.

-اللعنة!

لقد رحلَ حتّى دونَ أنْ يوجه كلمة شُكر واحدة لي.

-اللعنة، اللعنة.

ظللت أصرخ بهذهِ الكلمة، لاعنًا حظّي الذي يوقعني مع أولئكَ البشر غريبي الأطوار، وانطلقتُ بالسيّارة وأنا في قمة

غضـــبي، مُحـــاولًا أنْ أهـــدأ، ولكـــنَّ الغضـــب بداخلي شديد.. شديد جدًّا جدًّا.

تمّت بحمدِ اللّه.